الدكتور / علي أحمد مدكور للأدب الإسلامي :

كيف يعبّر الأدب الإسلامي عن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة؟؟

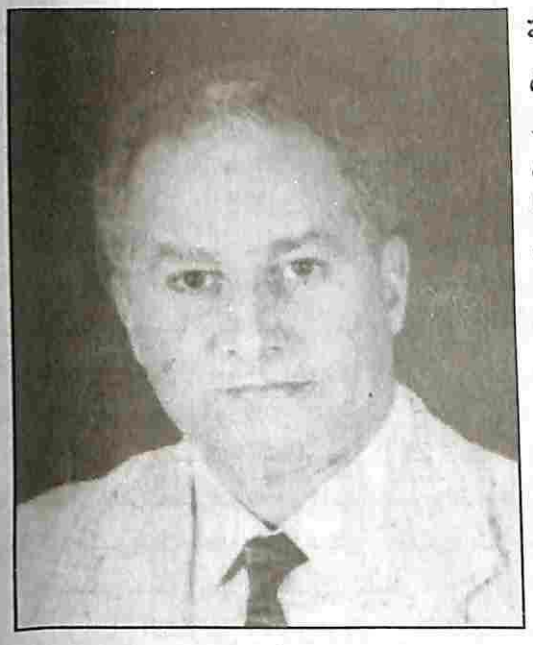

الدكتور :علي أحمد مدكور

إذا كان الأدب الإسلامى تعبيراً موحياً بتجربة شعورية منبثقة عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ، فما المقصود بالتصور الإسلامي؟ وإلى أي مدى يجب على كل أديب وفنان إدراك هذا التصور ؟ وماذا يترتب على غياب هذا التصور فى مناهج التربية فى بلادنا ؟ وكيف يمكن لنا التغلب على الخلل الذي نتج عن ذلك ؟ وماذا عَمَّنْ ينكرون وجود الأدب الإسلامي ؟ وماذا عن أدب الطفل في بلادنا الإسلامية ؟ ..

عن كل هذه الأسئلة كان لمجلة « الأدب الإسلامي » هذا الحوار مع أحد أساتذة التربية في وطننا الإسلامي ، وأحد الذين أسهموا بمؤلفاتهم ومقالاتهم فى تقديم الأدب الإسلامي للقراء وللطلاب والباحثين فى معاهد العلم والبحث .

الحوار مع الأستاذ الدكتور علي أحمد مدكور عميد البحوث والدراسات التربوية في جامعة القاهرة.

حوار: مصطفى قنبر
- مصر -

*** من المعروف أن التصور الإسلامي هو المنطلق الذي ينطلق منه الأديب والفنان المسلم في تعبيره عن تجربته الإبداعية .. في نظركم ما المقصود بمصطلح « التصور الإسلامي »؟**

- التصور الإسلامي هو التفسير الإسلامي الشامل للوجود ، الذي يتعامل الإنسان المسلم على أساسه مع هذا الوجود .وهو يشتمل على أربع حقائق جوهرية : حقيقة الألوهية ، وحقيقة الكون ، وحقيقة الإنسان ، وحقيقة الحياة .

فالتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة منبثق من الإسلام عقيدة وشريعة .. وهو يبدأ من الله ثم ينتهي إليه . يبدأ من الحقيقة الإلهية ، فالله هوخالق الوجود كله ، ثم يسير مع هذا الوجود في كل صوره وأشكاله وكائناته وموجوداته ، ويعنى عناية خاصة بالإنسان بكل نشاطه المادي والروحي ، بكل طاقاته الظاهرة والباطنة ، بكل ألوان حياته التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، بكل عمله في الحياة الدنيا ، وفيما وراء الحياة الدنيا ، ثم يعود بالوجود كله مرة أخرى إلى الحقيقة التي صدر منها ، وإليها يعود . ذلك بصورة مبسطة وموجزة هو المقصود بـ « التصور الإسلامي »

*** هذا يدعونا إلى أن نتساءل عن الأهمية التي يمثلها فهم التصور الإسلامي بالنسبة لكل فنان وأديب .. فماذا تقول ؟**

- التصور الإسلامي الذي تحدثنا عنه يجب أن يدركه كل فنان ، وكل أديب ، هو بعينه الذي يجب أن ينبثق منه منهج التربية وإعداد الإنسان لكي يقوم بحق الخلافة في الأرض .

يجب أن نبني مناهج التربية والأدب على أساس الخصائص والمقومات التي تحدد طبيعة التصور الإسلامي

وفهم طبيعة هذا التصور على هذا النحو مسألة ضرورية لكل إنسان ولكل فنان لأسباب كثيرة أهمها ما يلي :

أولاً : إنّه لابد للمسلم من تفسير شامل للوجود يتعامل على أساسه مع هذا الوجود ، فلا بد من أن يفهم حقيقة الألوهية وحقيقة الكون ، وحقيقة الحياة وحقيقة الإنسان وما بينهما من ارتباطات.

ثانياً : إنه بناءً على فهم الإنسان لذلك التغير الشامل ، وعلى فهمه لحقيقة مركزه في الوجود الكوني ولغاية وجوده الإنساني ، يتحدد منهج حياته ، ونوع النظام الذي يحقق هذا المنهج ، والفرق بينه وبين المناهج الأرضية المتبعة .

ثالثاً : إنه لا بد للمسلم من أن يعرف أن الإسلام إنما جاء لينشىء أمة ذات طابع خاص متفرد . أمة أنشئت لقيادة البشرية ، وتحقيق منهج الله في الأرض . وإدراك الأديب لكل هذا هو الذي يكفل له أن يكون عاملاً إيجابياً صالحاً في بناء هذه الأمة ، وقائداً وموجهاً في عملية البناء والترقية .

رابعاً : إنه عندما نبني منهج التربية ، ومناهج الفن والأدب على أساس الخصائص والمقومات التي تحدد طبيعة التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، فإننا نهدف بذلك إلى تثبيت هذه الخصائص والمقومات التي تحدد الملامح الربانية لهذه المناهج ، وتميزها عن غيرها من المناهج البشرية المحيطة بها ، وبذلك يحافظ منهج التربية الإسلامية كما تحافظ مناهج الفن والأدب والسياسة والاقتصاد - على المجتمع الإسلامي من الذوبان في المجتمعات الأخرى التي جاء هو أصلاً لهديها وقيادتها .

*** ما النتائج التي ترتبت على غياب هذا التصور الإسلامي في بلادنا ؟**

- أحدث غياب هذا التصور كثيراً من الشرور والمآسي والانحرافات : انحرافات في الشعور ، وانحرافات في القول والعمل والسلوك ، وانحرافات في الفكر والثقافة ، وانحرافات في الفنون والآداب .إلخ

إن غياب التصور الإسلامي في تربية الإنسان المسلم ، قد جعل فنانا مثل عمر الخيام يتصور الكون كتاباً مغلقاً لاينفذ العالم البشري إلى سطر واحد من سطوره ، وغيباً مجهولاً يقف الإنسان أمام بابه الموصد يدقه بلا جدوى ! وهو في هذا التيه لا يعلم من أين جاء ولماذا جاء ؟ ولا يدري أين يذهب ، ولايستشارُفي الذهاب !

لبست ثوب العيش لم أستشر
وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضوه برغمي ولم
أدرك لماذا جئت، أين المفر !
أفنيت عمري في اكتناه القضاء
وكشف ما يحجبه في الخفاء
فلم أجد أسراره وانقضى
عمري وأحسست دبيب الفناء

وهذا التصور نفسه للحياة المجهولة المصدر والمصير ، نجده لدى إيليا أبو ماضي ، ومرسي جميل عزيز وغيرهم ، فلو اختلف تصور كل واحد من هؤلاء الأدباء والفنانين للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون لاختلفت قيمها في حسهم ، واختلف اتجاههم الفني والأدبي بكل تأكيد فلو تصور كل منهم مثلاً أنه قطرة في نهر الحياة ، ولكنها قطرة تحس بأهداف النهر من المضي والتدفق والإرواء والإحياء لكان للحياة في نظره قيم أخرى. ولو تصور أنه نفخة من روح الله تلبست بجسده ، ليكون خليفة الله في الأرض ينشىء فيها ويبدع ، لكان للحياة في نظره قيم أخرى. ذلك أن التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة هو أكمل تصور وأشمل تصور ، لأنه نابع من عقيدة عميقة ضخمة ، عقيدة تدعو معتنقيها إلى الاستعلاء بإيمانهم لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين كما تدعوهم إلى المقاومة والكفاح لتحقيق هذا الاستعلاء .

*** كيف يمكننا تدارك الخلل الذي أحدثه غياب التصور الإسلامي ؟**

إن غياب هذا التصور في مناهج التربية قد أحدث خللاً في الشعور ، وفي السلوك الفردي والجمعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الأدبي والفني والثقافي لأبناء الأمة ، وإنه حين يقتلع هذا التصور من أرض فإنه لا تبقى فيها لغة ، ولا قومية ، ولا وطن لأن الجذر الأصيل قد

إن غياب التصور الإسلامي في تربية الإنسان المسلم جعل فناناً مثل عمر الخيام يتصور الكون كتاباً مغلقاً لا ينفذ العالم البشري إلى سطر من سطوره

اقتلع ! وإن الأمة لكي تستعيد توازنها ، وتسترد حياتها وفقاً لهذا التصور ، وهذه هي الخطوة الأولى الأساسية الحاسمة في هذا الاتجاه فلا بد أن تبدأها مناهج التربية ومناهج الفنون والآداب بناء على هذا التصور الإسلامي. إن الفنون والآداب ينبغي أن تتخذ لعبادة الله، فمن سدَّ الذرائع إليها جملة سدَّ باباً من أبواب التدين ، ومن أراد أن يحيي أمر الدين ويتمه بعد نقصان لزمه أن يعنى بالفن ويثوب به إلى التدين فيرقى ويرقى به سائر اتجاهات الحياة الإسلامية الناهضة .

*** برغم وضوح الرؤية وبروز الهدف .. إلا أن هناك من ينكرون وجود « الأدب الإسلامي » فبم نرد عليهم ؟**

إن من أبناء جلدتنا من صك الغرب قلوبهم، وطبع على عقولهم ، فهم ينكرون وجود أدب إسلامي ، بل وينكرون وجود منهج لله لتربية الإنسان الذي خلقه الله! ومع أن كل واحد منهم يشتري الجهاز الذي صنعه الإنسان ويأتي معه بـ (دليل الجهاز) الذي هو من صنع الإنسان نفسه ، فيقرؤه ويحفظه حتى يستطيع تشغيل الجهاز وصيانته ، إلا أنه ينكر ذلك على خالق الإنسان وبارئه وصانعه .. ينكر أن خالق الإنسان قد وضع له منهجاً ربانياً » لأدبه وفنه وتربيته ، واستثمار طاقاته .

إن الأمر كله أمر عقيدة ، يقول سيد قطب – رحمه الله– : « إن هذه البشرية وهي من صنع الله ، لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه. وقد جعل من منهجه وحده مفاتيح كل مغلق ، وشفاء كل دواء:« **وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين** » « **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ».

إن قضية الأدب الإسلامي – كقضية كل ماهو إسلامي من العلوم والفنون والمناهج والتربية والاقتصاد والثقافة.... وهي قضية إيمان ، وعلم يقوم على الإيمان ، وصدق في المشاعر ، وفهم للواقع ، واستشراف لآفاق المستقبل ، وقدرة في التعبير ، وموهبة تقوم على ذلك كله.

***وماذا عن أدب الأطفال في بلادنا؟**

تكمن مشكلة أدب الأطفال الحقيقية في بلادنا، في قلة الإنتاج الأدبي للأطفال ، وفي عدم الالتفات إلى هذه المسألة إلا أخيراً. وعندما بدأ الاهتمام بقضية أدب الأطفال سارع الجميع إلى الإنتاج الغربي يترجمونه إلى العربية بما فيه من مضامين تتصادم مع البيئة العربية الإسلامية شكلاً وموضوعاً ، وكثر عدد العاملين في هذا الميدان من التجار أكثر من الأدباء.

إننا بحاجة إلى رسم منهج إسلامي لأدب الأطفال واليافعين والشباب ، إن ترك هذا الميدان للأدب المترجم يعني صياغة وجدان أطفالنا وشبابنا وأذواقهم وميولهم صياغة غربية وبعيدة عن وجدان الأمة وعقيدتها وأخلاقها ونظمها النابعة منها ، وفي ذلك استلاب للعقول ، بل للأرض ومن عليها.

إن هناك معايير يمكن أن تعين في إنتاج الأدب للأطفال ، وكلها تنطلق من التصور الإسلامي للأدب غرساً للقيم الإيمانية وتربية لشخصية قادرة فهم دورها في الحياة.